كليـــة التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

ISSN: ١٨١٧-٦٧٩٨ (Print)

Journal of Tikrit University for Humanities

available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

Peace-Making in Tabaristan and Gurgan as a Call for Forgiveness and Spread of Islam

Dr. Abdul-Aziz Kheder Abbass Al-Jassim

Department of History
Center for Strategic Studies
University of Anbar
Anbar, Iraq

Keywords:
The name Tabristan
The arrival of Yazid ibn al-Mahlab to Tabaristan
The entry of Islam to Jorjan
Governorate of Yazid bin Mahalib

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received ١٠ Dec. ٢٠١٨
Accepted ٢٢ January ٢٠١٩
Available online ٢٠١٩/٦/٢٦

A B S T R A C T

Some scholars and historians are still abstain from studying the Islamic East and conducting research in human rights, justice, and forgiveness in the past centuries because their thoughts about these centuries which witnessed no justice and equality among people. They left the researchers at loss of this issue, but if we return back to the periods before Islam we will find indications of a preparation of the human soul firstly and society secondly as far as faiths and acceptance of new Godly laws are concerned. Then the light of Islam broke on all the world and the conflict between good and evil left to in Allah knows only. When the Islamic armies go ahead from Arabic land to carry the message of justices and publish Islam, the commander who leads these armies should has some requests as a war's tool such as persuasion and acceptance with conditions.

© ٢٠١٨ JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/١٠,٢٥١٣٠/jtuh.٢٦,٣,١٨

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

الصلح في طبرستان وجرجان دعوة للتسامح ونشر الإسلام

أ.م.د.عبد العزيز خضر عباس الجاسم / جامعة الأنبار / مركز الدراسات الاستراتيجية

الخلاصة

لا يزال بعض العلماء والمؤرخين لم يتناولوا دراسة مناطق الشرق الإسلامي والبحث في مجال حقوق الإنسان والعدالة والتسامح للقرون الماضية ، ضناً منهم بأن تلك القرون قد خلت من العدالة والمساواة بين الناس وتركوا الباحثين في حيرة من الأمر ،لكن لو رجعنا إلى مرحلة ما قبل الإسلام لنجد هناك بوادر لتهيئة النفس البشرية أولا والمجتمع ثانيا ، من

حيث العقائد وتقبل القوانين الربانية الجديدة ليبزغ نور الإسلام على المعمورة ويكون صراع ما بين الخير والشر في حسابات لا يقدرها إلا الله الواحد الأحد، وعندما تنطلق الجيوش من الجزيرة العربية لحمل رسالة العدل والمساواة ونشر الإسلام، فهناك متطلبات يجب على القائد الذي يتولى زمام الأمور بأن يحملها معه كعدة الحرب ولكن قبلها عدة الإقناع والقبول بشروط قدرها الله أحسن تقدير ، ومن ثم عدة الحرب ، فكان عرض الإسلام والدخول له الشرط المهم في تجنب الحرب، لذلك وقع الاختيار على مدينتي طبرستان وجرجان كنموذج لنشر الإسلام والصلح والهدنة ونقض الصلح والحرب وما تبعها من خسائر ومن ثم التعايش السلمي في ظل الدولة والإسلامية لما حملته تلك الدولة من تسامح عظيم واخترت الصلح في طبرستان وجرجان لأسباب منها تكرر الصلح أكثر مرة ونقض أكثر من مرة ، وهنا نعتقد أهمية البحث ، لأن الصلح التوقف عن الحرب والنقض البدء في الحرب وهذا ما حصل في تلك المناطق المفتوحة التي تم نشر الإسلام فيها على أساس شروط الصلح وهذه ملزمة للطرفين ، أما النقض لمرات عدة فيه دلائل واضحة أن قيادات تلك المناطق لا يريدون الصلح ضناً أنهم ينتزعون الكبرياء والقوة أمام قبائلهم والناس يريدون العيش بسلام على أساس العدل والمساواة مع الجميع هذا ما يجعل قادة الفتح الإسلامي حريصين كل الحرص على عدم المساس بكرامة الإنسان وهذا ما يتطلب من أمراء وقيادات الجيش نشر الإسلام في تلك المناطق ليعم الخير والمساواة بين أفراد المجتمع. **وقسم البحث إلى مبحثين:**

المبحث الأول: تكلمنا عن طبرستان من حيث التسمية والموقع الجغرافي والمناطق التابعة لها من الناحية الإدارية والعسكرية وكيفية دخول قادة الفتح العربي الإسلامي الذين وصلوا إلى تلك المدينة بتوجيه من الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) وقسم كبير من الصحابة ، ومما يؤكد ذلك رواية الطبري في(سنة ثلاثين للهجرة) عندما توجه سعيد بن العاص في خلافة عثمان (رضي الله عنه) لفتح طبرستان ونشر الإسلام فيها وانطلق من الكوفة بنفس السنة يريد خراسان ومعه حذيفة بن اليمان وناس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير، (رضي الله عنهم) ثمّ وصل طَمِيسَة، وهي من مدن طبرستان (١) مما يدل على اهتمام الخلفاء بالمناطق المفتوحة وهم حريصون على نشر الأمن والعدل والمساواة والتعايش بين الناس وهذا ما يؤكد استقرار عدد كبير من الصحابة والتابعين في تلك المناطق ، وتطرقت إلى أهم شروط الصلح التي اعتمد عليها قادة الفتح العربي الإسلامي وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية . ولم نغفل عن الرجال الذين كانوا وراء نقض الصلح من تلك المناطق المفتوحة زعما منهم بأن الإسلام جاء لانتزاع كرامتهم وقوتهم أمام قبائلهم ومنعهم من التمتع بالحرية والعدل والمساواة بين أفراد المجتمع الواحد.

أما المبحث الثاني : تكلمت عن مدينة جرجان وما حولها من قرى ومدن تابعة لها نعتقد بان لها دوراً مهم مع طبرستان وإذا ما استقر الأمن في طبرستان وعقد صلح في جرجان يكون الاستقرار، وتأكيداً على ما نقلة الطبري من أن جُرجان فتحت بنفس قادة الجيش وامتداداً لطبرستان ومن شدة القتال في جرجان يروى أن سيعد بن العاص صلّى صلاة الخوف ، فقال لحذيفة بن اليمان كيف صلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فأخبرهُ ، فصلى بها سعيد صلاة الخوف (٢) وهذا ما يؤكد لنا أن الموقع الجغرافي والتركيبة السكانية شبيه بمناطق طبرستان، ولم نغفل عن مواثيق الصلح والهدنة ونقض العهد في تلك المناطق وتناولت أهم الإنجازات التي قام بها الخلفاء الراشدون ومن تبعهم وما هي النتائج والدروس المستخلصة من دراسة تلك المناطق ، وهذه إشارة واضحة على اهتمام الخليفة الراشدي عمر (رضي الله عنه) بأن يولي قيادة الجيش لمن هم قريبون من تلك الأحداث وهم من صنعوا التاريخ ، ونشروا العدل والمساواة بفضل الله ، ومن خلال هذا العمل المتواضع قد نكون فتحنا باباً للبحث والتدقيق والتمحيص في دراسة مجتمع القوة والوحشية والكفر، وكيف تحول بنور الإسلام إلى مجتمع محبا للسلام والتعايش ويطرح نفسه نموذجا للعالم الإسلامي في مد جسور التواصل الحضاري والإنساني ولعله درس من دروس تاريخ أمة الإسلام ومن الله التوفيق .

المبحث الأول:

تسمية طبرستان :

طَبَرِستان: بفتح أوله وثانيه وإسكان الراء المهملة وفتح السين المهملة وفتح التاء المعجمة باثنتين من فوقها مدينة معروفة، وسمّيت بذلك لأن الشجر كان حولها فلم تصل إليها جنود كسرى حتى يقطعوه بالفئوس (٣) وقيل وسمّيت بذلك لأن طبارى ملك الروم بناها (٤) ويقال له طبارا وسميت باسمه، وفيها عيون مالحه حارة وقد بنيت عليها حمامات فهي لا تحتاج إلى الوقود تجري ليلاً ونهاراً (٥) وطبرستان إنما هي طبرزنان أي الفؤوس والنساء(٦) ومعنى طبرستان موضع الأطبار فهي مؤلفة من لفظتين طبر وهي تعريب تبر الفارسية اسم لنوع من الفؤوس، وإستان معناها الموضع أو الناحية سميت بذلك لكثرة ما فيها من الأطبار(٧) ومَا نُحتَ بالفأس ولذا سُميت طبرِستان لقطع شجرها(٨) وطبرستان باسم مازندران أيضاً، وهي ولاية من ولايات إيران قديماً، وموقعها إلى الجنوب الشرقي من بحر قزوين (٩) .

الموقع :

وهي مدينة كبيرة جداً ليس لها نظيرٌ في نواحيها وبناؤها بالطين وأمطارها دائمة وهي عبارة عن مدينتان والنهر يشق بينهما كثير الماء وعليه قنطرة معقودة (١٠) والعجم يقولون مازندران، وهي بين الري وقومس وبحر قزوين (١١) وأكثرهم يعملون بتربية دود القز فيصنع منها الابريسم الكثير ويحمل إلى سائر البلاد (١٢) وكانت ملوك الفرس توليها رجلاً من أهل بيت المملكة وتسميه الأصبهبذ، وهو حافظ الجيش في لغتهم (١٣) والفرس مساكنهم وسط تلك الأراضي يُقال لها أرض فارس منها كرمان والأهواز وجميع ما دون نهر جيحون من تلك الجهات يقال لها إيران وهي أرض الفرس وأما ما وراء جيحون فيقال له توران وهو أرض الترك (١٤) وهم فرق كثيرة فمنهم الديلم وهم سكان الجبال ومنهم الجيل وأرضهم هي ساحل بحر طبرستان ومنهم الكرد.(١٥)

الصلح في طبرستان:

يرتبط نشر الإسلام في مناطق الشرق بحوادث مهمة في التاريخ الإسلامي وما ذكره الطبري من معارك وأهمها وقعة نهاوند (١٦) عندما بدأت طلائع الفتح العربي الإسلامي التوجه إلى مناطق الشرق الإسلامي منذ عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٣-٢٣هـ /٦٣٤-٦٤٣م) ومن خلال الرواية التاريخية التي تقول: (... وأرسل الإصبهبذ حاكم طبرستان إلى سويد بن مقرن في الصلح)(١٧) على أن يتوادعا، ويجعل له شيئاً على غير نصر ولا معونة على أحد، فقبل ذلك منه، وجرى ذلك لهم وتأكيداً لذلك كتب له كتاباً (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من سويد بن مقرن للفرخان إصبهبذ خراسان على طبرستان وجيل جيلان من أهل العدو، إنك آمن بأمان الله عز وجل ، ولا تؤوى لنا بغي، وتتقى من ولى فرج أرضك بخمسمائة ألف درهم من دراهم أرضك، فإذا فعلت ذلك فليس لأحد منا أن يغير عليك، ولا يتطرق أرضك، ولا يدخل عليك إلا بإذنك، سبيلنا عليكم بالإذن آمنة، وكذلك سبيلكم، ولا تؤون لنا بغية، ولا تسلّون لنا إلى عدو، ولا تغلّون، فإن فعلتم فلا عهد بيننا وبينكم) (١٨) وشهد على الصلح سواد بن قطبة التميمي، وهند بن عمرو المرادي، وسماك بن مخرمة الأسدي، وسماك بن عبيد العبسى، وعتيبة بن النهاس البكرى وكتب سنة ثمان عشرة من الهجرة (١٩) وكان فتح أذربيجان وفتح همذان والري وجرجان وبعد صلح إصبهبذ طبرستان المسلمين من نفس السنة (٢٠) وهذا ما أكده ابن كثير وغيره بقوله:(هو أول من غزاها وصالحوا سويد بن مقرن قبل ذلك على أن لا يغزوها على مال بذله

له اصبهبذها) (٢١) وبلغت أنباء انتصار المسلمين، ودخولهم قومس وجرجان، مسامع فرخان حاكم خراسان، وكانت طبرستان داخلة في حكمه، فآثر السلامة، وصالح سويدًا (٢٢) وهذا ما يعزز عنوان بحثنا أن الصلح أقرب إلى النفوس والتسامح لذلك كانت ردة الفعل من القائد العربي سويد بن مقرن بالصلح وبرسالة ذات معاني سامية وكبيرة هي :

أولا: الخطاب كان على مستوى المناطق المجاورة لمن يحكم تلك البلاد لتكون المسؤولية مشتركة .

ثانيا: أوصل سويد رسالة الأمان وقال (إنك آمن بأمان الله عز وجل)

ثالثا: أن تكون مسؤولاً عن الأمن على نفسك ومن معك بشرط أن لا تؤوي لنا عدواً وباغياً.

رابعا: أن يدفع مقدار الصلح الذي أمر به سويد وهو ٥٠٠ألف درهم .

خامسا: إذا التزمت بالشروط السابقة فليس لأحد أن يغير عليكم .

سادسا: لا يجوز لأي أحد أن يدخل عليك إلا بأذنك وهذا واضح الدلالة على أن حرية الاختيار والتعامل متروك لكم .

سابعا: عندما ندخل عليكم نستأذن منكم وهذا في قمة التعامل الإنساني والحضاري .

ثامنا: كرر مرة ثانية تأكيد الصلح بقولة (ولا تؤون لنا بغية، ولا تسلون لنا إلى عدو، ولا تغلون)

تاسعا: وإذا تم نقض تلك الشروط بقولة (فإن فعلتم فلا عهد بيننا وبينكم)

من خلال تحليل الرسالة التي وجهها سويد بن مقرن إلى الإصبهبذ حاكم طبرستان يتبن لنا أن المسلمين يريدون الصلح بغض النظر عن الحديث في الدخول إلى الإسلام وهذا واضحا من رسالة سويد ولم يتطرق إلى الدين الجديد والنظام الإسلامي بل ترك الباب مفتوحاً من أجل التعامل مع المسلمين والاطلاع على أحوالهم ونظامهم ، وكذلك نجد فيها احتراماً كبيراً لهؤلاء الناس وعدم المساس بعقيدتهم السابقة وترك الخيارات لهم بشرط عدم نقض الصلح الذي هم طلبوا ذلك من سويد بن مقرن.

وهنا نريد أن نبين بأن تلك المناطق قبلت الإسلام مقابل الصلح ومن دون قتال وهذا ما أكدته المصادر التاريخية (٢٣) ويبدو من خلال الروايات بأن قادة الفتح العربي الإسلامي أعطوا مهلة بين مدة وأخرى لسكان البلاد المفتوحة للتفكير جيداً والقناعة في الدخول في الإسلام، ونجد ما بين مدة خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رضي الله عنهما) أكثر من عشر سنوات ، ولكن بعد مروة بمدة من الزمن بدأ حاكم طبرستان بمحاولات لنقض الصلح .

وبالفعل بنفس السنة نقض الصلح وهذا ما تبين عندما هرب يزدجرد مللك الفرس بعد وقعة نهاوند وعند وصوله طبرستان(فلما قدمها خرج إليه صاحب طبرستان، وعرض عليه بلاده، وأخبره بحصانتها) (٢٤) وهذا نقض لشروط الصلح (ولا تؤون لنا بغية، ولا تسلون لنا إلى عدو، ولا تغلون، فإن فعلتم فلا عهد بيننا وبينكم) (٢٥)

<u>الصلح في سنة ثلاثين للهجرة :</u>

بعد الصلح الذي عقد أول مرة مع سويد بن مقرن بزمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بقيت تلك المناطق على ذلك الصلح وذكر أنهم يدفعون قيمة الصلح في كل مرة شيء يعطون الخراج تارة مائة ألف وأخرى مائتين وثلاثمائة وربما منعوه (٢٦) ثم امتنعوا وكفروا فانقطع طريق خراسان من ناحية قومس إلا على خوف شديد، وصار الطريق إلى خراسان من الصعب السير فيه (٢٧) أيام الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فأمر بتوجه سعيد بن العاص لفتح طبرستان ليثبت الإسلام فيها وانطلق من الكوفة بنفس السنة التي كان يريد خراسان، ومعه حذيفة بن اليمان وناس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير (رضي الله عنهم) فنزل سعيد قومس، وهي صلح، صالحهم حذيفة بعد نهاوند، فأتى جرجان، فصالحوه على مائتي ألف، ثم أتى طَمِيسة، وهي من مدن طبرِستانِ(٢٨) ومن خلال النصوص

التاريخية هناك محاولات من حكام تلك المناطق لنقض الصلح في أكثر من مرة وما يعزز القول:(أن طبرستان كانت ملاذاً آمناً للخوارج). (٢٩)

طبرستان في العصر الأموي :

توفي سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية والد عمرو الأشدق في سنة ٥٩ هـ /٦٧٨م والذي أقيمت عربية القرآن على لسانه ، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٠) وتُركت طبرستان على حالها ولكن لم يغفل عنها قادة الفتح العربي الإسلامي ودخول تلك المناطق الإسلام قولاً وعملاً وفي سنة ٩٨هـ / ٧١٦م سار يزيد بْن المُهلب إلى طبرستان فسأَله الأصبهبذ الصّلح فأبى فاستعان الأصبهبذ بأهل الجبال والديلم فالتقوا عند سند الجبل فاقتتلوا قتالا شديدا ثم هزم الله المشركين وصعدوا الجبل فبعث يزيد حيّان النبطي فصالح الأصبهبذ على سبع مائة ألف درهم وأربع مائة وقر زعفران أو قيمته من العين وأربع مائة رجل مع كل رجل برنس وطيلسان وجام فضّة وسرقة حرير وكسوة فقبل ذلك يزيد وانصرف عنهم.(٣١) ودخل يزيد إلى الإصبهبذ في طبرستان فكان معه الفعلة يقطعون الشجر، ويصلحون الطرق، (٣٢) ومن خلال هذا النص نجد اهتماماً بالطرقات وفتحها سواءً أكانت للجيش أم مرور الناس ليكون المسلم الجديد شاهداً على الاهتمام بأمور الناس .

وصول يزيد بن المهلب إلى طبرستان:

وفي سنة ٩٨هـ / ٧١٦م انتهى يزيد بن المهلب من صول التركي الذي كان والي جرجان ، ثم توجه إلى طبرستان ليفتتحها، وهمّ بالمسير إليها فاستعمل عبدالله المعمر اليشكري على دهستان البياسان، وضمّ إليه أربعة آلاف فتنزل البحيرة ... فقتل يزيد عدداً من الأتراك لنقضهم العهد (٣٣) وسار إلى آخر حدود جرجان مما يلي طبرستان، فاستعمل اندرشان أسد بن عمرو، ودخل يزيد بلاد طبرستان، فراسله الإصبهبذ يسأله الصلح، وأن يخرج من طبرستان ولا يتوغلها فأبى يزيد، إلى أن فتتحها ، لإعادة هذا الجزء الحيوي إلى نفوذ الدولة الإسلامية ، فوجه أخاه أبا عيينة من وجهه ، وخالد بن يزيد من وجهه آخري ، وأبا الجهم الكلبي من جهة أخرى.(٣٤) وبذلك حسم الأمر لصالح المسلمين.

ودخل يزيد بن المهلب خراسان وأقام ثلاثة أشهر أو أربعة بها ، ثم أقبل إلى دهستان وجرجان، وبعث ابنه مخلداً على خراسان، وجاء حتى نزل بدهستان، وكان أهلها طائفة من الترك، فأقام عليها، وحاصر أهلها، معه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام ووجوه أهل خراسان والري، وهو في مائة ألف مقاتل سوى الموالي والمماليك والمتطوعين...) (٣٥) وهنا يتبين لنا أن أهل المناطق المفتوحة التي دخلت الإسلام سواءً صلحا أم عنوةً شاركوا مع الجيش الإسلامي النظامي من المتطوعين إضافة إلى الموالي الذين ظلوا على دينهم يريدون التعايش السلمي وفرض النظام الإسلامي الجديد وهذا ما دفعهم إلى البقاء ومعارضة قادة تلك المناطق ولم يزل أهل طبرستان يؤدون الصلح مرة ويمتنعون من أدائه مرة أخرى فيحاربون ويسالمون، فلما كانت أيام الخليفة الأموي مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، غدروا ونقضوا حتى نهاية العصر الأموي ، أي إلى سنة ١٣٢هـ /٧٤٩م .(٣٦)

وهذا نقض للصلح:

أصر قادة تلك المناطق على نقضهم للصلح مرة أخرى وتمردوا على المسلمين فسلكوا طرقا عدة ومنها كما ذكر(فيصعدوا الجبال وأشرفوا على المسلمين وعملوا على رشقهم بالنشاب، ويرمونهم بالحجارة، فانهزم الناس من فم الشعب من غير قتال ولا قوة من عدوهم على إتباعهم ، وأقبلوا يركب بعضهم بعضاً، حتى أخذوا يتساقطون ويتدهدى الرجل من رأس الجبل حتى نزلوا إلى عسكر يزيد لا يعبئون بالشر شيئا ، وأقام يزيد بمكانه وعلى حاله، وبدأ الإصبهبذ يكاتب أهل

جرجان ويسألهم أن يقتلوا أصحاب يزيد، وأن يقطعوا عليه المئونة والإمدادات والطرق فيما بينه وبين العرب، ويكافئهم على ذلك، فقتلوا من كان مع يزيد من المسلمين، فقتلوا منهم من قدروا عليه) (٣٧) واجتمع بقيتهم فتحصنوا في جانب، فلم يزالوا فيه حتى خرج إليهم يزيد وأقام يزيد على الإصبهبذ في أرضه حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف نقداً وأربعمائة حمار موقره زعفراناً وغيرها، وصالحوا قبل ذلك على مائتي ألف درهم. ثم خرج منها يزيد وأصحابه ولولا ما صنع أهل جرجان لم يخرج من طبرستان حتى يفتحها.(٣٨)

وبعد أن أصبحت طبرستان تحت حكم الدولة الإسلامية ، كتب يزيد بن المهلب إلى صاحب طبرستان أني أريد أن أغزو صول التركي وهو بجرجان(٣٩) وسوف أتكلم عنها في المبحث الثاني للجرجان. ثم رجع إلى يزيد بن المهلب فقال: ابعث من يحمل صلحهم الذي صالحتهم عليه، قال: من عندهم أو من عندنا؟ قال: من عندهم وكان يزيد قد طابت نفسه على أن يعطيهم ما سألوا، ويرجع إلى جرجان فأرسل يزيد من يحمل ما صالحهم عليه، وانصرف إلى جرجان (٤٠) بعد قتال استمر لشهور عدة بين الكر والفر على أن تكون طبرستان ضمن الدين والنظام الجديد. ولكن التمرد والعصيان في تلك المناطق دفع مروان بن محمد بن عبد الملك إلى منطقة خمرين فأبى ملكها أن يصالحه فقاتل حصنا من حصون خمرين شهراً فأخرب بلاد خمرين ثم سأله أهل خمرين الصلح فصالحهم ثم أتى مروان أرض مسدار فافتتحها على صلح ثم نزل مروان مدينة كيران فصالحه أهل طبرستان وفيلان وذلك سنة ١٢١هـ / ٧٣٨م .(٤١)

المبحث الثاني

تسمية جُرجان:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى من بناها وهـو جُرجان بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان له أخوان فارس واجفاس فارس ويقال جرجيج.(٤٢)

موقع جرجان :

مدينة مشهورة في إيران بين طبرستان وخراسان، جنوب شرق بحر قزوين (٤٣) تقع بالقرب من بحر الخزر شرق الديلم وطبرستان وهي قريبة من وخوارزم (٤٤) وذكر في أهميتها ووصفها (ويسلك حجّاج خوارزم إلى جرجان وأكثرها رمل كدر وفى بعضها رضراض، ويأخذ من مرو طريق إلى اليسار ينتهى إلى كشميهن) (٤٥) وإلى جرجان تقع تجارات أرمينية وأذربيجان والخزر وبلاد برجان، لأن تجار البحر يسافرون من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق فيحملون الديباج من فرنجة إلى الفرما، ثم يركبون إلى القلزم فيحملون ذلك الديباج إلى الصين ثم يصيرون إلى بغداد ثم إلى الأبله (٤٦) وبني على حدود جرجان قبل الاسلام أي في زمان العجم وسلطانهم حائطاً من الآجر فجعلوها حصناً لا يُرام وتحصنوا خوفاً من الترك ، وهو حائط طويل أحد طرفيه في البحر والطرف الآخر ممدود في البلاد، لأن الترك كانت تأتيهم من ناحية خوارزم فلا يقدرون عليهم بسبب وجود هذا الحائط ، وكان سابور ذوا لأكتاف وخسرو وهرمز بن أنو شروان وقباذ بن فيروز وغيرهم من ملوك الأعاجم قد غزوا جرجان وراموها في سالف الدهر فأعياهم ذلك ولم يقدروا عليها لحصانتها ولكثرة أهلها ، ثم إن أهل جرجان صالحوا الترك بعد ذلك وخالطوهم، ونزل الترك بين أظهرهم، فأقاموا فيهم ما شاء الله أن يقيموا ثم رحلوا عنهم إلى بلادهم، وبقيت منهم بقية يزيدون على أربعة آلاف فنزلوا دهستان، فكانوا يغيرون على جرجان ويؤذونهم غاية الأذى، فلم تزل بلاد جرجان على ذلك من حالها إلى أن جاء الله بالإسلام (٤٧) وتقع حاليا جرجان أو كركان ضمن المحافظات التابعة لدولة إيران. (٤٨)

دخول الإسلام إلى جرجان :

قد يتساءل البعض لماذا نقول دخول الإسلام؟ لأنه هناك فرقاً بين الفتح والصلح ودخول الإسلام في

جرجان ولكل واحدة معنى لذلك عندما قلنا دخول الإسلام إلى جرجان هنا عملية حوار حدثت بين الأطراف وأصبح تبادل الرسائل مما يعني هناك اعتراف من قبل الطرفين بكلاهما أي اعترف أهل جرجان بوجود الدين والدولة الجديدة التي لا يتجاوز عمرها الربع قرن ، بل هناك إمبراطوريات وحضارات قائمة منذ آلاف السنين ولم يعترف احدهما بالآخر والسبب يعود إلى الصراع وعدم التعايش فيما بينهم ومما لاشك تكون القوى المتصارعة تتدافع لإثبات وجودها ، ولكن وجود مثل هذه الرسائل السامية لقادة الفتح العربي الإسلامي يعني أنهم قطعوا شوطاً في ممارسات العمل الدبلوماسي والأهم من ذلك رسائل نبي الله محمد (صلى الله عليه سلم) إلى ملوك الأرض والدعوة إلى قبول الإسلام وبعد تثبيت أركان الدولة الإسلامية الجديدة وانطلاق قادة الفتح إلى الأراضي المجاورة لنشر الإسلام بقوة الله عز وجل دخول الإسلام إلى مناطق جرجان وهذا ما حصل في العصر الراشدي وبالتحديد في زمن الخليفة الثاني، وأكدت المصادر التي وقعت بيدنا أن جُرجان وصلها الإسلام أيام الخليفة الراشدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٣ ـ ٢٣ هـ / ٦٣٤ ـ ٦٤٣م) وقيل :(بعد فتح مدينة نهاوند في أول سنة تسع عشرة، لسبع سنين من إمارة عمر، لتمام سنة ثمان عشرة) (٤٩) أي كانت وقعة نهاوند في سنة ثمان عشرة في سنة ست من إمارة عمر) (٥٠) وبعضهم يؤكد إنما كان ذلك من فعل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في سنه ثمان عشرة (٥١) ولما استشهد النعمان بن مقرن أبو عائذ بن ميجا بن نصر المزني بعد نهاوند ولي أمارة الجيش إلى أخيه سويد بن مقرن (٥٢) فجاء إلى الري وفتحها ثم عسكر إلى قومس وفتحها ثم توجه إلى جرجان (٥٣) وعسكر سويد بن مقرن بمدينة بسطام، وكاتب ملك جرجان رزبان صول التركي رسالة إلى القائد سويد بن مقرن ورد سويد عليه بهذه الرسالة (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتابٌ من سويد بن مقرن لرزبان صول ابن رزبان وأهل دهستان وسائر أهل جرجان، إن لكم الذمة، وعلينا المنعة، على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم، على كل حالم، ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضاً من جزائه، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم، ولا يغير شيء من ذلك هو إليهم ما أدوا وأرشدوا ابن السبيل ونصحوا وقروا المسلمين، ولم يبد منهم سل ولا غل، ومن أقام فيهم فله مثل ما لهم، ومن خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، وعلى أن من سب مسلماً بلغ جهده، ومن ضربه حل دمه شهد سواد بن قطبة، وهند بن عمرو، وسماك بن مخرمة، وعتيبة بن النهاس وكتب في سنة ثمان عشرة) (٥٤) وكاتبه رزبان صول، وبادره بالصلح على أن يؤدي الجزاء، ويكفيه حرب جرجان، ودخول سويد بن مقرن جرجان، فدخل معه، وعسكر بها حتى جبى إليه الخراج، وسمى فروجها، فرفع الجزاء عمن أقام يمنعها(٥٥) ويعد صلح جرجان نقطة تحول في مسار التعامل مع القوى المحلية (٥٦) من حيث التسامح الديني وعدم إرهاقهم اقتصادياً، لكن نجد بالمقابل تعنت كثير منهم في مسألة قبول الإسلام وتأكيداً لذلك يقول الطبري: أن جرجان وطبرستان لم يغزها أحد حتى قام عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، فغزاها سعيد بن العاص سنة ثلاثين. (٥٧) وهذا ما نريد أن نصل إليه من حقيقة تاريخية بأن الصلح يختلف في معنى الغزو أو دخول الإسلام أي طواعية ، فنزل سعيد مدينة قومِس، وهي صلح، صالحهم حذيفة عليها بعد نهاوند، فأتى جرجان، فصالحوه على مائتي ألف، ثم أتى طميسة، وهي كلها من طبرستان جرجان، وهي مدينة على ساحل البحر، وهي في تخوم جرجان، فقاتله أهلُها حتى صلى صلاة الخوف، فقال لحذيفة، كيف صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخبره، فصلى بها سعيد صلاة الخوف (٥٨) وبذلك صالح أهل جرجان، ثم امتنعوا وكفروا، فلم يأت جرجان بعد سعيد أحد، ومنعوا ذلك الطريق (٥٩) وفي رواية أخرى أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان، وكانوا يجبون أحيانا مائة ألف ويقولون، هذا صلحنا وأحيانا مائتي ألف، وأحيانا ثلاثمائة ألف، وكانوا ربما أعطوا ذلك وربما منعوه، ثمّ امتنعوا وكفرُوا، فلم يعطوا خراجا حتى أتاهم يزيد بن المهلب .(٦٠)

ونجد في كتاب الصلح ظاهرة ملفتة للنظر، فلأول مرة منذ فتح جرجان بدأ المسلمون يستعينون بأصحاب البلاد المفتوحة الذين ما زالوا على وثنيتهم.

ويفسر طقوش ذلك بأنه يعود إلى سببين:

الأول: إن حركة الفتوح قد امتدت، وتشعبت مع قلة عدد الفاتحين أمام كثرة أعدائهم، لقد كان جيش سويد بن مقرن اثني عشر ألفًا منذ خرج بهم من نهاوند، ففتح همذان والري، ثم فصل قسمًا من جيشه، وأرسله إلى أذربيجان بقيادة سماك بن خرشة، مددًا لبكير بن عبد الله، فنقص عدد قواته عما كان عليه بما لا يقل عن ألفين، ومع ذلك فإنه فتح قومس وجرجان، وهو مقدم على فتح المزيد مما وراء طبرستان، فكان عليه في هذه الحالة أن يستعين بالقوى المحلية ما دام ذلك ممكناً مقابل إغراءات مادية، وهي الإعفاء من الجزية.

الثاني: إن تعاون بعض الفرس مع المسلمين من شأنه أن يدمر البنية التحتية للمجتمع الفارسي؛ لأنه يقسم الفرس إلى قسمين متناحرين، وإن إسقاط الجزية عن المتعاملين مع المسلمين من شأنه أن يشجع غيرهم على التهافت على هذا التعاون للتخلص من الجزية، ومن ثم يفتح الباب واسعاً لنشر الإسلام في المجتمع الفارسي في ظروف أكثر ملائمة.(٦١) وقد ذهب طقوش إلى أبعد من ذلك .

ونحن نرى أن هذه الرسالة التي أوصلها سويد بن مقرن إلى تلك المناطق تعود لأسباب نعتقد أنها أقرب إلى الصواب وهذا ما يعزز عنوان بحثنا أن الصلح والتسامح أقرب إلى النفوس لذلك كانت ردة الفعل من القائد العربي سويد بن مقرن بالصلح وبرسالة ذات معاني سامية وكبيرة ، والخطاب لأهل جرجان يختلف عن مضمون الخطاب الذي أرسله سويد إلى الأصبهبذ حاكم طبرستان وعلى النحو الآتي :

أولا: كان عنوان الرسالة واضحاً لرزبان ابن صول التركي ومناطق دهستان وسائر أهل جرجان .

ثانيا: أعطى الأمان على النفس أولاً وعلى المال ، وعقيدتهم ولو كانت مخالفة لشرع الله أي المجوسية أو غيرها وهذا بمنتهى الاحترام والتقدير حتى يتعرفوا ولن يفزعوا من الدين الجديد.

ثالثا: هذه الرسالة دليل واضح على معرفة قادة الفتح العربي الإسلامي بتلك المناطق وقادتها وأمراءها وجمعوا معلومات وافية قبل إرسال الرسائل المطمئنة لتلك الشعوب.

رابعا: خاطب سويد بن مقرن بلهجة المودة والسلام وليس الحرب وفرض الجزية كما زعم كثير من المعادين إلى الإسلام بقوله :(إن لكم الذمة، وعلينا المنعة، على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم، على كل حالم، ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضا من جزائه، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم، ولا يغير شيء من ذلك هو إليهم ما أدوا وأرشدوا ابن السبيل ونصحوا وقروا المسلمين، ولم يبد منهم سل ولا غل، ومن أقام فيهم فله مثل ما لهم، ومن خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنه) وهذا خطاب واضح أي نريد منكم الأمان والجزاء السنوي ، ونفسر ذلك من المحتمل أن أهل طبرستان فهموا الجزاء أنه مرة واحدة لذلك تعددت الروايات في تعثر دفع الجزاء من أهل طبرستان .

خامسا: أوصل سويد رسالة الأمان وعدم تحديد مقدار الجزاء وقال لهم على طاقتكم ليس بمثل ما جرى في طبرستان بتسديد المبلغ ٥٠٠ألف درهم.

سادسا: إذا التزمت بالشروط السابقة فليس لأحد أن يغير عليكم .

سابعا: لا يجوز لأي أحد يدخل عليك إلا بأذنك أيها الوالي وهذا واضح الدلالة على أن حرية الاختيار والتعامل متروك لكم .

ثامنا: في الرسالة جانب اعتباري لكل مسلم له حصانة بقول سويد في مضمون الرسالة :(وعلى أن من سب مسلماً بلغ جهده، ومن ضربه حل دمه) وهنا يتبين للباحث أن الرسالة قد وصلت بطريقة أنه من يدخل الإسلام فله حصانة ومن يعتدي عليه ولو بالسب فدمه مباح وقتله مشروع ، إذن يتبين لنا أن قادة الفتح العربي الإسلامي يتعاملون مع الناس حسب الظروف المحيطة بالحدث وطبيعة الناس لذلك كانت الرسائل مختلفة في السياق والنظم والقوانين لكي يكون هناك تعايش

وتسامح مابين الناس في ظل الدولة الإسلامية الجديدة .

من خلال تحليل الرسالة التي وجهها سويد إلى الإصبهبذ حاكم طبرستان يتبن لنا أن المسلمين يريدون الصلح أولا بغض النظر عن الحديث والدخول في الإسلام وهذا واضح من خلال الرسالة. ولم يتطرق سويد إلى الدين الجديد والنظام الإسلامي بل ترك الباب مفتوحاً من أجل التعامل مع المسلمين والإطلاع على أحوالهم ونظامهم ومن خلال الرسالة نجد فيها احتراماً كبيراً لهؤلاء الناس وعدم المساس بعقيدتهم السابقة وترك الخيارات لهم مفتوحة بشرط عدم نقض الصلح الذي هم طلبوه من سويد، ولكن بعد مرور مدة من الزمن بدأ حاكم طبرستان بمحاولات لنقض الصلح وهنا نريد أن نبين بأن تلك المناطق قبلت الإسلام مقابل الصلح ومن دون قتال وهذا ما أكدته المصادر التي وقعت بيد الباحث . (٦٢) وتبين لنا من خلال الروايات التي ساقها الطبري بأن قادة الفتح العربي الإسلامي أعطوا مهلة بين مدة وأخرى وبين بلد وأخر حسب خصوصية سكان البلاد المفتوحة للتفكير جيداً والقناعة للدخول بالإسلام ونجد ما بين مدة خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رضي الله عنهما) أكثر من عشر سنوات ، ولكن نرى بفتح قومس نصر المسلمين بالري حاسماً، لذلك أسرعت حاميات المدن، والأقاليم المجاورة في الدخول في ذمة المسلمين لقاء الأمان وتأدية الجزية، فلما سار سويد بن مقرن إلى قومس، بأمر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، لم يتصد له أحد، ودخلها سلماً بلا حرب، ولا مقاومة، وكذلك فتح دنباوند لم يبق بين المسلمين، وشواطئ بحر قزوين من أرض فارس غير جرجان، وطبرستان وأذربيجان (٦٣) وتأكيداً على أن جرجان فتحت أيام الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يتبن لنا من خلال الرسالة التي أرسلها يزيد بن المهلب إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك يقول :(أما بعد، فإن الله قد فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً، وصنع للمسلمين أحسن الصنع، فلربنا الحمد على نعمه وإحسانه، أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان، وقد أعيا ذلك سابور ذوالأكتاف وكسرى بن قباذ وكسرى بن هرمز، وأعيا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان ومن بعدهما من خلفاء الله ...) (٦٤) وذكر البلاذري أن الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ولى سعيد بن العاص الكوفة في سنة ٢٩ هـ /٦١٢م (فغزا سعيد طبرستان، ومعه في غزاته فيما يقال الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب عليهم السلام، وقيل أيضا: أن سعيدا غزا طبرستان وصالح ملك جرجان على مائتي ألف درهم، ويقال على ثلاثمائة...)(٦٥) ومن خلال ذلك يتضح لنا أن المسلمين يصالحون في جرجان ويغزون في طبرستان ونستنتج أن سياسة المسلمين تختلف من مكان إلى أخر لنشر الإسلام والعدل والمساواة والتسامح بين الناس ، ولم يكن هدف المسلمين القوة والسيطرة والتحكم بمقدرات الناس ودليل على ذلك إعطاء سكان البلاد المفتوحة فرصة أكبر، وقدر كافي من الوقت ليتفكروا في عظمة الدين وقوته . وتوسع الإسلام في تلك المناطق مع شدة هؤلاء الناس وتعنتهم في مسألة قبول الإسلام كدين جديد يفرض قوانين وأنظمة لم يتعودا عليها من حيث التطبيق العقائدي عليهم .

أما أذا تطرقنا إلى الجانب الاقتصادي لوجدنا الكثير من الميول والرغبات إلى تطبيق العدل والمساواة والتسامح بين الناس إضافة إلى ذلك نجد أن كثير من الصحابة والتابعين استقروا في نلك المناطق والسبب يعود الى حملهم رسالة الإسلام ، ومن خلال تلك النصوص نجد أن الناس بدأت تتقبل فكرة التعايش مع العرب والمسلمين الذين وصلوا تلك المناطق المفتوحة وإلا لماذا يستقروا بينهم ويتصاهروا على اساس الدين وليس على أساس القوة . لذلك كانت مناطق جرجان نموذجا التسامح بين الناس والتعايش السلمي وأصبحت تلك المناطق مهمة لتجارة المسلمين لما شهدته من استقرار سياسي واجتماعي . ويسلك حجّاج خوارزم إلى جرجان (٦٦) وكذلك التجارة بدأت تنشط بفعل الاتصال ببلاد المسلمين وخصوصا العراق وهذا ما يعزز قولنا قول الهمداني: (إلى جرجان تقع تجارات أرمينية وآذربيجان والخزر وبلاد برجان، لأن تجار البحر يسافرون من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق فيحملون الديباج من فرنجة إلى الفرما، ثم يركبون إلى القلزم فيحملون ذلك الديباج إلى الصين ثم يصيرون إلى بغداد ثم إلى الأبلة) (٦٧) وهذه قومس دخل الإسلام عليها

برسالة ذات طابع ايماني بعيد عن التهديد ولكن من ينقض العهد فهو بريء الذمة (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى سويد بن مقرن أهل قومس ومن حشوا من الأمان على أنفسهم ومللهم وأموالهم، على أن يؤدوا الجزية عن يد، عن كل حالم بقدر طاقته، وعلى أن ينصحوا ولا يغشوا، وعلى أن يدلوا، وعليهم نزل من نزل بهم من المسلمين يوما وليلة من أوسط طعامهم، وإن بدلوا واستخفوا بعهدهم فالذمة منهم بريئة) (٦٨) ،وقدّم سويد بن مقرن أخاه بأمر عمر(رضي الله عنه) إلى قومس، فلم يقم له أحد، وأخذها سلما، وكتب لهم أمانا، وقبل جزيتهم. (٦٩)

أصحاب النبي (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم) في جرجان:

وقد يتساءل البعض لماذا هذا الاهتمام من قبل الخلفاء الراشدين والصحابة (رضي الله عنهم) بهذه الأماكن البعيدة عن مكة المكرمة ومدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتضح دور الصحابة هو نشر الإسلام وطرح نموذج يحتذي به في تلك المناطق يكونوا معلمين ومبشرين ودعاة للحق ومشاعل نور وإيمان للتعايش مع غير المسلمين ليوصلوا رسالة التسامح وعدم القطيعة بين الناس وكما ورد في محكم التنزيل:(**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى الله الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَالله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**) (٧٠) لذلك نجد دورا كبيرا للصحابة واثراً بالغا في نفوس تلك المناطق المفتوحة ولانستغرب أن يكون على رأس الدعاة سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين (رضي الله عنهما) وكذلك الصحابة وعلى رأسهم عبد الله بن عمر وأبو هريرة وحذيفة بن اليمان وسعيد بن العاص وسويد بن مقرن وعبد الله بن وسواد بن قطبة ويقال سوادة بن قطبة عنه وسماك بن مخرمة وهند بن عمرو وعتيبة بن نهاس (رضي الله عنهم) وفي رواية أن سعيد بن العاص بطبرستان فقال: أيكم صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف؟ فقال حذيفة: أنا قال: فقام حذيفة فصف الناس خلفه صفين صف خلفه وصف موازي العدو فصلى بالذين خلفه ركعة ثم انصرف هؤلاء إلى مكان هؤلاء ثم جاء أولئك فصلى بهم ركعةً ولم يقضوا.(٧١)

جرجان في العصر الأموي :

ويبدو أن هذه المناطق كانت تتأرجح ما بين ما قوة المسلمين وضعف الخلافة من جهة وكذلك تمرد قادة تلك المناطق وعصيانهم على قادة الفتح العربي الإسلامي وظلت تلك المناطق محط أنظار الخلفاء الأمويين إلى جاء الفتح على يد قتبة بن مسلم والمهلب بن أبي صفره وابنة يزيد وبقيت جرجان على حالها ولن تغيب عن أنظار المسلمين وقد يكون عامل الزمن مهم في قناعة تلك المناطق للرجوع عن غييهم ونقضهم العهد ، والمهم هو وصول الإسلام إليهم.

ولما حضرت الوفاة المهلب بن أبي صفرة بمرو سنة ٨٢هـ / ٧٠١م استخلف ابنه يزيد وهو ابن ثلاثين سنة (٧٢) وخلال مدة تولي سليمان بن عبد الملك الحكم(٩٦ ـ ٩٩هـ / ٧١٤ـ ٧١٧ م) ووصلت الأخبار، بفتوح قتيبة بن مسلم فقال لمن حضر من وزرائه ألا ترون إلى فتوح قتيبة بأرض خراسان، فكان يزيد بن المهلب يقول لسليمان بن عبد الملك يا أمير المؤمنين ليست هذه بفتوح ابن قتيبة عن فتح جرجان الذي قد أعيت الملوك من قبل وحالت بين الناس وبين خراسان (٧٣) أي كانت عصية ومتمردة على الإسلام كما ورد في النص السابق.

ولاية يزيد بن المهلب :

وهو أبو خالد يزيد وأبوه المهلب أبو صفرة ظالم بن سراق بن صبح العَتَكي (٧٤) . لما ولى سليمان بن عبد الملك بن مروان الخلافة (٩٦ ـ ٩٩هـ / ٧١٤ـ ٧١٧ م) ولى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة خراسان (٧٥). ولم يكن له همّه غير جرجان (٧٦) وفي سنة ٩٧ هـ / ٧١٥م غزا يزيد بن المهلب جرجان ولم تكن مدينة إنما هي جبال محيطة بها

(٧٧) وبعدها توجه فنزل البحيرة ومعه ثلاثين ألفا من المسلمين فدخلها ، ثم خرج من البحيرة فحاصر يزيد صول التركي حاكمها فكان صول يخرج في الأيام فيقاتلهم فمكثوا كذلك أشهرا وانصرف عنهم في شهر رمضان (٧٨) وذكر بعض المؤرخين تم ذلك في سنة ٩٨هـ / ٧١٦م ، وأقام يزيد بن المهلب بخراسان شتوة ثم غزا جرجان وكان عليها حائط من آجر قد تحصنوا به من الترك وأحد طرفيه في البحر، ثم غلبت الترك عليه وسموا ملكهم صول (٧٩) ودخل يزيد جرجان فتلقاه أهلها بالأتاوة التي كان سعيد بن العاصي صالحهم عليها منذ سنة ٣٠هـ / ٦٥٠م ، فقبلها (٨٠) وكانوا أهل جرجان يصالحون أهل الكوفة على مائه آلف، ومائتي آلف أحيانا، وثلاثمائة ألف، فقبلها يزيد واستقبلوه بالصلح وهابوه وزادوه، واستخلف عليهم رجلا من الأزد يقال له: أسد بن عبد الله (٨١) وبنفس السنة أي ٩٨هـ / ٧١٧م بنى سورها واختط بها مساجد بلغت نحو أربعين مسجدا وكان معها مسجدا لنفسه وتلك المساجد معروفة بِجرجان بعضها داخل قصبتها وبعضها خارجها (٨٢) ومنها مسجد بجيلة ومسجد محارب في سكة البريد ومسجد قريش بجنب دار عبد الله بن عيسى ومسجد حمراء وكان يعرف بمسجد بن أبي رافع في سكة محرز وتعرف بسكة الخلنجيين ومسجد العشيرة وكان يعرف بمسجد برجوبراه والعطار ومسجد الموالي في سكة الموالي وكثير من المساجد (٨٣) ولما فرغ من جرجان توجه يزيد إلى طبرستان وقد خرج معه ابنه مخلد فأمره أن ينصرف وقد استعمله على ما دون النهر واستعمل حاتم بن قبيصة على ما خلف النهر قال لمخلد يا بني انظروا هذا الحي من الأزد فكن بهم كما قال أبو داود(٨٤): **إذا كُنتَ بَيَاضَ الرّجالِ لِنفْعِهِم ... فَرِشْ واصْطَنع عِنَد الذّينَ بِهِم تَرمي**. وانظر هذا الحي من ربيعة فإنهم شيعتك وأنصارك فاقض حقوقهم ومذمتهم فإن أحببت أن تبلغ برضاهم فأهن لهم بني تميم ولا تدنهم فيطمعوا إليك ولا تقصهم ينأوا عنك وكن بين المدني والقاضي وبين السامع والمطيع وانظر رحمك فيهم فصلهم. وانظر هذا الحي من قبس فإنهم أكفاء قومك فِي الجاهلية ومناصفوهم المنابر فِي الإسلام وإياك والدخول في الدماء فإنه لا بقية بعدها وإياك والعقوبة في الإبشار فإنه عار باق ووتر مطلوب، وإياك وشتم الأعراض فإن الحر لا يرضيه من عرضه عوضا، واستعمل أهل الفضل والنجدة دون الهوى والمحبة ولا تعزل إلا الخيانة والعجز، ولا يمنعك من اصطناع رجل أن يكون قد سبقك إليه غيرك فإنما تصطنع الرجال لنفسك، وليك رسولك إلي ممن يفقه عنى وعنك، واحمل الناس عَلَى حسن أدبك يكفوك أنفسهم، وإذا كتبت كتابا فأكثر النظر فيه فإن كِتَاب الرجل موضع عقله ورسوله موضع رأيه، وما قل من الكلام وخف من الخطبة أحب إلى أبيك، وأستودعك الله. (٨٥) قال يزيد بن المهلب لابنه كلاما أخر (ويا بني لا تمل معروفا واستكثر من الحمد فإن الذم قل من ينجو منه والله الموفق) (٨٦) ومن الروايات التي تدلل على زهد المسلمين بالمال والجواهر و(أصاب يزيد بن المهلب تاجا بجرجان فيه جوهر، فقال أترون أحدا يزهد في هذا التاج؟ قالوا لا، فدعا مُحَمَّد بن واسع الأزدي، فقال خذ هذا التاج فهو لك ، قال لا حاجة لي فيه، قال عزمت عليك، فأخذه، وخرج فأمر يزيد رجلا ينظر ما يصنع به، فلقي سائلا فدفعه إليه، فأخذ الرجل السائل، فأتى به يزيد وأخبره الخبر، فأخذ يزيد التاج، وعوض السائل مالا كثيرا). (٨٧)

وسنة ٩٨هـ / ٧١٦م غدر أهل جرجان بمن خلف يزيد عليهم من المسلمين فقتلوهم (٨٨) فلما وصل الخبر إلى صاحب الغدر المرزبان فتحصن بها ، وظل يزيد محاصرا لها سبعة أشهر لا يقدر عليها ، وقاتلوه مرارا ونصب المنجنيق عليها، ثم أن رجلا دلهم على طريق إلى قلعتهم وقال لا بد من سلم جلود فعقد يزيد لجهم بن زحر الجعفي، وقال: إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت .(٨٩) وأمر يزيد أن تشعل النار في الحطب فهالهم ذلك وخرج قوم منهم ثم رجعوا وانتهى جهم إلى القلعة فقاتله قوم ممن كان على بابها فكشفهم عنه ولم يشعر العدو بعيد العصر إلا بالتكبير من ورائهم، ففتحت القلعة وأنزلوا على حكم يزيد فقادهم جهم إلى وادي جرجان وجعل يقتلهم حتى سالت الدماء في الوادي . (٩٠) وهو من المؤكد أن يزيد بن المهلب بدا بعمارة تلك المناطق بعد ان استقر الإسلام فبها وهو الذي بنى مدينة جرجان (٩١)

وعندما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩- ١٠١هـ / ٧١٧ - ٧١٩م) عزل يزيد عن جرجان وقتل يوم الجمعة

لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة ١٠٢هـ /٧٢٠ م ، وممن كان مع يزيد بن المهلب في عسكره غازيا سعيد بن الفاكه وكرز بن وبرة الحارثي وحمل بن كعب النهدي وجماعة من الأزد وقريش والأنصار رضي الله عنهم أجمعين. (٩٢) توفي يزيد سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م وممن كان مع يزيد بن المهلب في عسكره غازيا سعيد بن الفاكه وكرز بن وبرة الحارثي وحمل بن كعب النهدي وجماعة من الأزد وقريش والأنصار رضي الله عنهم أجمعين. (٩٣) ولي أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز(رضي الله عنه) الجهم بن بكر الجعفي جرجان وبنى بها القنطرة المنسوبة إليه وكانت ولايته سنة واحدة (٩٤)

ونختم بحثنا بهذه الحادثة في سنة ١٠٠هـ /٧١٩هـ عندما شكي بعض القوم إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز من والي خراسان الجراح بن عبد الله من سوء المعاملة بقولهم (يا أمير المؤمنين، عشرون ألفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج، وأميرنا عصبي جاف يقوم على منبرنا، فيقول: أتيتكم حفيا، وأنا اليوم عصبي! والله لرجل من قومي أحب إلي من مائة من غيرهم وكتب عمر إلى الجراح أنظر من صلى قبلك إلى القبلة، فضع عنه الجزية فسارع الناس إلى الإسلام (٩٥) فقيل للجراح إن الناس قد سارعوا إلى الإسلام، وإنما ذلك نفورا من الجزية، فامتحنهم بالختان (٩٦) فكتب الجراح بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا ولم يبعثه خاتنا (٩٧) وقال عمر بن عبد العزيز أريد رجلا صدوقا (٩٨) أسأله عن خراسان، فقيل له عليك بأبي مجلز فكتب إلى الجراح أن أقبل واحمل أبا مجلز وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم الغامدي وعلى جزيتها عبد الله بن حبيب (٩٩) فخطب الجراح فقال: يا أهل خراسان جئتكم في ثيابي هذه التي علي وعلى فرسي لم أصب من مالكم إلا حلية سيفي ولم يكن عنده إلا فرس قد شاب وجهه، وبغلة قد شاب وجهها (١٠٠) وتركهم وتوجه إلى عاصمة الخلافة امتثالاً لإمر الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) فخرج في شهر رمضان واستخلف عبد الرحمن بن نعيم (١٠١) ولما قدم (قال له عمر متى خرجت؟ قال في شهر رمضان، قال قد صدق من وصفك بالجفاء، هلا أقمت حتى تفطر ثم تخرج، وكان الجراح يقول: أنا والله عصبي) (١٠٢) وكان الجراح لما قدم خراسان كتب إلى عمر: أني قدمت خراسان فوجدت قوما قد أبطرتهم الفتنة فهم ينزون فيها نزوا، أحب الأمور إليهم أن تعود ليمنعوا حق الله عليهم، فليس يكفهم إلا السيف والسوط، وكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك (١٠٣) فكتب إليه الخليفة : (يا بن أم الجراح، أنت أحرص على الفتنة منهم، لا تضربن مؤمنا ولا معاهدا سوطا إلا في حق، واحذر القصاص فإنك صائر إلى من يَعلمُ خائنةَ الأعيُن وما تُخفي الصدور، وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها) (١٠٤) والى حد الخلافة الأموية ينتهي بحثي لضيق الوقت وتحديد الباحث في صفحات الكتابة والله الموفق .

الهوامش:

(١) (Tabari, et diem pertinet: I/٤/٢٦٩.

(٢) (Tabari, eodem fonte, II/٤/٢٦٩.

(٣) (Al-Bakri, Astagam Glossary: III/٣/٨٨٧ / XIII/٣/٨٨٧ ., Ruby, glossary terris IV

(٤) (Al-Bakri, Astagam Glossary: IV/٣/٨٨٧.

(٥) (Ruby, dictionary de terris, V/٤/١٨.

(٦) (Al-Hamdani, terris, VI/١/٥٦٤

(٧) (imperatorem Machometum Reza: bin Othman Affan: VII/١/٨٣

(٨) (Zubaidi, et de sponsa coronam: VIII/٩/٤٣٥

(٩) (imperatorem Machometum Reza: bin Othman Affan, IX/١/٨٣.

(١٠) (Idrissi, Almsteq X/٢/٦٨٨ picnic.

(١١) (Qazwini, nuntium ad patriam XI/١/٤٠٣.

(١٢) (Qazwini, nuntium ad patriam XII/١/٤٠٤.

(١٣) (Humairi, Rawd Almttar: XIII/١/٣٨٣.

(١٤) (Alguenoja, Ajlan TONSURA, XIV/١/١٠٨.

(١٥) (Alguenoja, eodem fonte, XV/١/١٠٨.

(١٦) (Tabari, et diem pertinet: XVI/٤/١١٤.

(١٧) (Tabari, et diem pertinet: XVII/٤/١٥٣ , imperatorem Machometum Reza: bin Othman Affan/١/٨٣.

(١٨) (Tabari, et diem pertinet: XVIII/٤/١٥٣.

(١٩) (Et ultra, videatur Tabari, ibid., XIX/٤/١٥٣.

(٢٠) (Tabari, eodem fonte, XX/٤/١٤٦.

(٢١) (filium multorum, principium et finis, XXI/١٠/٢٣٢.

(٢٢) (Tqoh, et diem per Caliphs, XXII/١/٢٢٦.

(٢٣) (Et ultra, videatur Tabari, et historiam pertinet: XXIII/٤/٢٩٥.

(٢٤) (Al-Baladhuri, Fattouh terris, XXIV/٤/٣٠٧ Tabari, et historia related ٤/٢٩٥.

(٢٥) (Tabari, et diem pertinet: XXV/٣/٤١٥.

(٢٦) (Ibn Khaldoun, Diwan Debutante: XXVI/٢/٥٨٢.

(٢٧) (Ibn Khaldoun, eodem fonte, XXVII/٢/٥٨٢.

(٢٨) (Tabari, et diem pertinet: XXVIII/٤/٢٦٩, CDLXXX, II / filius aere plena historia ,

, Ibn ٢٣٢/١٠fili multorum, principium et finis, ٦١٣/٢Abu vere sufficientiam, Khaldun, Diwan Debutante / II, DLXXXII, imperatorem Machometum Reza: bin ٨٣/١Othman Affan.

(٢٩) (S, et ad historiam pertinet, Tabari, ٣٠٢XXIX / VI c ٣٠٢CCCVI CCCIX et CCCIII.

(٣٠) (, aurum nuggets, filius Brigadier, ٢٦٨/١XXX.

(٣١) (: sartor filium, Mars diem, ٣١٥/١XXXI. Tabari, et historiam pertinet: ٥٤١/٦.

(٣٢) (: Tabari, et diem pertinet, ٥٣٤/٦XXXII.

(٣٣) (, eodem fonte, Tabari, ٥٣٩/٦XXXIII.

(٣٤) (, eodem fonte, Tabari, ٥٤٥/٦XXXIV.

(٣٥) (, eodem fonte, Tabari, ٥٣٢/٦XXXV.

(٣٦) (VI, eodem fonte DSI, / DXII DXIII) XXXVI.

(٣٧) (, eodem fonte, Tabari, ٥٣٥/٦XXXVII.

(٣٨) (, eodem fonte, Tabari, ٥٣٥/٦XXXVIII.

(٣٩) (, eodem fonte, Tabari, ٥٣٧/٦XXXIX.

(٤٠) (eodem fonte Tabari, ٥٤١/٦XL.

(٤١) (: sartor filium, Mars diem, ٣٥٢/١XLI.

(٤٢) (, p. Jerjani, ٤٤XLII) Date ex Gorgan Jawzi, regularis, ٢٥٢/٤.

(٤٣) (Al-Fayroozabaadi, imams Albulgh In translationibus proclivitas ad XLIII) linguam: ١٨٥/١.

(٤٤) (Ibn Hawqal, imago terram, ٣٨٦/٢XLIV.

(٤٥) (Ibn Hawqal, eodem fonte / II, filius Oosm litera legitur, Fotouh: ٤٢٩XLV. ١٨٩/٧.

(٤٦) (, terris Al-Hamdani, ٥٤٠/١XLVI.

(٤٧) (: Ibn Oosm litera legitur, Fotouh, ١٨٨/٧XLVII) CLXXXIX.

(٤٨) (VI / I, Mujzaan Roman componere parta armis Abu Abey, XLVIII.

(٤٩) (, DSI atque historia praesentis commoditatis est, DSI, ١٣٦/٤XLIX.

(٥٠) (, eodem fonte, DSI, ١٣٦/٤L.

(٥١) (, eodem fonte, Tabari, ١٣٧/٤LI.

(٥٢) (, regularis, XLVIII, Gorgan Jawzi Date of XLIV. p. Jerjani, ٢٩/٧LII) fili aethereum, plenus ٤٨٠/٢.

(٥٣) (, p. Jerjani, ٤٤LIII) Date ex Gorgan Oosm Eben scriptor, Fotouh: ١٨٩/٧.

(٥٤) (, est commoditatis praesentis historia atque DSI, DSI, ١٥٢/٤LIV) Jerjani, historia Gorgan XLV, filius Miskawayh, Nationes usibus ٣٩٨/١.

(٥٥) (eodem fonte Tabari, ١٥٢/٤LV) de, Ruby, Gorgan, of Date XLIV. p. Jerjani,

. imperatorem Machometum Reza: bin Othman Affan ١٢١terris dictionary / II, .٨٣/١Alnorin,

(٥٦) LVI) Tqoh, et diem per caliphs, ٢٢٥/١.

(٥٧) LVII) DSI: Date DSI IV / ٢٦٩/ Oosm filius litera legitur, Fotouh, VII / ١٨٩. Ibn .٤٤٥/٢Miskawayh, Nationes usibus

(٥٨)

(٥٩) LVIII) Tabari, historia Tabari, ٢٦٩/٤, filius caeli, plenae historiae, ٤٨١/٢ fili imperatorem Machometum Reza: bin ١٨٩Oosm litera legitur, Fotouh, VII / .٨٣/١Othman Affan,

(٦٠) LIX) Tabari, historia Tabari, ٢٧١/٤ Ibn Al Atheer, plenae historiae, ٤٨١/٢ fili .٤٤٥/٢Miskawayh, Nationes usibus

(٦١) LX) Al-Baladhuri, Fattouh regionibus / I, CCCXXVI, DSI: Date DSI /) .o VI ٢٧١ . ٤٨١Atheer, plenae historiae / II, ٤٢/٦Hierusalem satus date, Ibn Al ٥٣٦IV / . Ibn Khaldun, Diwan ٤٤٥filius Miskawayh, experiences Nationes / II, .٥٨٢/٢Debutante nuntium:

(٦٢) LXI) Tqoh, et diem per Caliphs, ٢٢٦/١.

(٦٣) LXII) Pro magis notitia, videre Tabari, et historiam pertinet: ٢٩٥/٤.

(٦٤) LXIII) Tqoh, et diem per caliphs, ٢٢٥/١.

(٦٥) LXIV) Tabari, diem Apostolorum ٥٤٤/٦. Ibn al, regularis, ٢٩/٧.

(٦٦) LXV) Al-Baladhuri, Fattouh regionibus / I, CCCXXVI et ipse est initium diem, .٤٢/٦

(٦٧) LXVI) Ibn Hawqal, terrae imaginem / II, CDXXIX fili Oosm litera legitur, .١٨٩/٧Fotouh:

(٦٨) LXVII) Al-Hamdani, terris, ٥٤٠/١.

(٦٩) LXVIII) Tabari, Historia beatissimi Apostolorum principis ١٥٢/٤.

(٧٠) LXIX) Ibn Al Atheer: ٤٠٨/٢ fili Miskawayh, Nationes usibus ٣٩٨/١.

(٧١) LXX) celeberrime Sura versum CCXIII).

(٧٢) LXXI) Al-Baladhuri, Fattouh regionibus / I, CCCXXVI, Jerjani: Date of Gorgan .٤٨٠/٢p. XLVI XLVII, filium caeli, plenae historiae,

(٧٣) LXXII) Jerjani, the date of Gorgan, p. LI.

(٧٤) LXXIII) DSI, DSI atque historia praesentis commoditatis est, ٥٣٩/٦ fili Oosm .١٨٩/٧litera legitur, Fotouh:

(٧٥) LXXIV) Jerjani, the date of Gorgan, p. XLIX, et LI, filium Qaysrani, fideliter ٢٣٢/٦cibi facilis / I, VII, Sam'ani, genealogiae suae

(٧٦) (LXXV) Al-Baladhuri, Fattouh terris, ١/٣٢٧.

(٧٧) (LXXVI) DSI, DSI atque historia praesentis commoditatis est, ٦/٥٣٩ fili Miskawayh, Nationes usibus ٢/٤٤٦.

(٧٨) (LXXVII) Khayat Ben, diem, ١/٣١٤.

(٧٩) (LXXVIII) Khayat Ben, eodem fonte, ١/٣١٤.

(٨٠) (/ LXXIX) Al-Baladhuri, Fattouh regionibus ١/٣٢٧ CCCXXVIII, DSI, DSI atque historia praesentis commoditatis est, ٦/٥٣٢.

(٨١) (LXXX) Al-Baladhuri, eodem fonte, ١/٣٢٧.

(٨٢) (LXXXI) Al-Baladhuri, eodem fonte / I, XXVII: DSI, DSI atque historia praesentis commoditatis est, ٦/٥٣٤.

(٨٣) (LXXXII) Jerjani, the date of Gorgan, p. XLIX.

(٨٤) (LXXXIII) Pro magis notitia, videre, Jerjani, the date of Gorgan p. LVII LVI.

(٨٥) (LXXXIV) Jerjani, the date of Gorgan, p. L.

(٨٦) (LXXXV) Jerjani, eodem fonte, p. LI.

(٨٧) (LXXXVI) Jerjani, eodem fonte, p. LIV.

(٨٨) (LXXXVII) DSI, DSI atque historia praesentis commoditatis est, ٦/٥٣٩.

(٨٩) (LXXXVIII) Khayat Ben, diem, ١/٣١٥ Al-Baladhuri, Fattouh I terris ،،